دورة الأنثى
وأحوالها بين الوحي والإنسان

عبدالله بن فهد الخليفي

- التأثر بالثقافة السائدة
- من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر..
- النسوية الإسلامية.
- تاريخينية النص!
- حتى لا يكفر الناس (زعموا)

6

التأثر بالثقافة السائدة..

عرفنا من خلال ما سبق؛ كيف أن الرأسمالية دفعت المرأة للخروج لاعتبارات ربحية فسلطوا آلاتهم الإعلامية على كل الناس ليصلوا إلى مرادهم، ونحن في زماننا مثل الأزمنة الماضية؛ الناس يتأثرون بالثقافات الأخرى بمجرد أن تسود بين الناس؛ مثلا لما كانت الاشتراكية سائدة في يوم من الأيام وكانت قوية جدًا كتب بعض المعاصرين كتاب في اشتراكية الإسلام! وقالوا أن أول اشتراكي أبو ذر! هكذا قال خالد محمد خالد في كتابه رجال حول الرسول، مع أن أبا ذر ليس له دخل بالاشتراكية، ولكنهم حاولوا أن ينظروا لأشبه صورة بها في ذاك الزمان وأتوا بها. الآن في زماننا لما ذهبت الاشتراكية وسادت الرأسمالية بدأنا نجد "فقهاء رأسماليين" ولو قرأ أحدكم كتاب "قصد الحق" لجميل أكبر سيجد أن جميل أكبر يتعجب من بعض المشايخ المعاصرين لماذا دائما يختارون المذاهب التي توافق الرأسمالية وتغوُّل الدولة!

سأعطيكم حديثين وأسألكم أي الحديثين أقوى إسنادًا وأيهما سمعتم به أكثر، أول حديث: أن النبي ﷺ وجد رجلاً في المسجد يتعبد فلما سأله النبي ﷺ لماذا تتعبد ولا تعمل قال أخي ينفق عليّ، فقال له النبي ﷺ: "أخوك خير منك". الحديث الثاني: أنه جاء رجل للنبي ﷺ وقال أنا أنفق على أخي وأخي يتعبد فقال له النبي ﷺ: "لعلك تُرزق به".

أي الحديثين سمعتم به أكثر؟ الأول صحيح؟ رغم أن الأول لا يقارن من ناحية الصحة بالثاني، الثاني أقوى بكثير، لكن لما كان الأول هو النافع والمتماشي مع مفهوم "العمل ومخالفة البطالة" تجده الأكثر ذكرًا.. [علمًا أن الإسلام لا يحث على البطالة] لكن الصورة الرأسمالية مغالية، فيستدلون بـ "اليد العليا خير من اليد السفلى"، "لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيحتطب به.."... إلخ

وعلى هذا يسيرون في ملف المرأة وغيره من الملفات وينتقون ما يعجبهم ليتناسب مع النفس العصري السائد...

من كان منكم بلا خطيئة

فليرمها بحجر..

تعرفون هذه القصة المنتشرة، قصة في إنجيل يوحنا، هذه القصة مشهورة جداً -ومعروف سبب شهرتها- وهي أن المسيح عليه السلام سأل أحبار اليهود لما أحضروا إليه امرأة زانية قال لهم : "ما حكمها عندكم في التوراة؟"، قالوا : "ترجم"، فقال: "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر!" هذه القصة باتفاق نُقاد الكتاب أنها ملحقة بإنجيل يوحنا. النصارى أنفسهم الباحثون المدافعون عن الإنجيل يقولون أن هذه القصة مُلحقة مكذوبة!

بعض القساوسة القدامى كانوا يقولون هذه القصة لا تُتلى على العام هكذا؛ لأنها تحث على الفاحشة! تخيل أن هذه القصة في زماننا صارت تستخدم للتبشير بالمسيحية، حتى لو تقرأون كتاب "المرأة بين اليهودية والإسلام والنصرانية" للدكتور سامي عامري، تجدون الدكتور سامي عامري ذكر أن هناك امرأة تونسية تنصرت بسبب هذه القصة! لأنها رأت أن الإسلام متحامل جدًا لأنه يعاقب الزانية -طبعاً الزانية البكر ما ترجم- وعجيب جداً أن تقول امرأة أنا سأترك دينكم لأنه شديد على الزانيات! سبحان الله، وأنت ما علاقتك بهن..؟!

النسوية الإسلامية..

عرفنا أنه من غير المستبعد أنه كما وجدت اشتراكية إسلامية، ورأسمالية إسلامية، وديمقراطية إسلامية، وعلموية إسلامية، أن يوجد نسوية إسلامية. كثير ممن دخلوا لموضوع النسوية الإسلامية كانت نيتهم صالحة في البداية، ولكن كم من مريدٍ للخير لم يبلغه..

الفكرة العامة للنسوية الإسلامية أننا نحمل إشكاليات موجودة في تراثنا وأعرافنا، وأن هذه الإشكاليات بمجرد أن نأتي بقراءة جديدة للدين أو بقراءة فيها نوع من الانتقاء لما يناسب هذا العصر سنتخلص منها. النسوية الإسلامية دائماً تطرح نفسها على أنها حل لإشكالية النسوية المتطرفة، وكلام الفقهاء يحملونه على أنهم متأثرون بعصورهم ومادام هم متأثرون بعصورهم فيجب ألا نأخذ بكلامهم في عصرنا! وأفهامهم هذه لا ينبغي أن نضفي عليها "قداسة"، وأما الأحاديث نتعامل معها بأداة الضعيف أو الاستنكار، والآيات بالتأويل وهكذا يكون الموضوع منتهي!

المشكلة أين؟ المشكلة أولاً أن هذا خلل تحليلي، مبدأيًا الرأسمالية وظروف العالم الحديث هذه هي التي أوجدت النسوية المتطرفة، والنسوية لن ترضى عنك فلابد أن تصطدم بما هو معلوم من الدين بالضرورة، فالمشي بمداهنتها لن ينفع نهائيا، ستبقى مشكلة بالنسبة لهم. الآن توجد مشكلة تحريم الزنا بل تحريم الشذوذ، حتى مرة رأيت حوارًا بين فتاتين إحداهن تقول: "أنا نسوية وضد الشذوذ"، فقالت لها الأخرى: **"أنت لا تفهمين! يستحيل أن تكوني نسوية وضد الشذوذ"**

ومعها حق لأنه فعلاً النسوية قائمة على فكرة "كسر الأدوار الجندرية" هذا من أركان النسوية وهذا هو ما يقوم عليه الشذوذ، فلا يمكن أن تكون النسوية ضد الشذوذ. فأي واحدة ستفهم الأصول الفلسفية للنسوية ستدرك هذا ولن تقنعها أي قراءة للشرع، ممكن تكون لها كنوع من التخدير وأنت تتنازل عن دينك وتحرف لها. ثم إن هذه هي أحسن حالاتها أن يكون عندها غطرسة تجاه النص الشرعي، هذه تتشرط على الله ورسوله! هذه أحسن حالاتها إن لم يتداركها الله بتوبة وتتعلم التسليم لأمره سبحانه. فهذه أحسن حالاتها أنها تكون مرتهن لشهوات فاسدة وقد رأيت هذا بأم عيني.

وأحيانًا يكون نوع من الاكتئاب، تكون هذه إنسانة مكتئبة ومتضايقة من حياتها وواقعها وتأتي تفرغ غضبها على شرع الله والعياذ بالله. وكما قلنا فيما سبق أن الرأسمالية أحدثت كثير من الأمراض النفسية في مجتمعاتنا؛ لأنها كابرت فطرتنا وقدمت مصالحها على فطرة الناس.

تاريخينية النص..

هناك من يقول أن العلماء متأثرون بعصرهم، طيب يعني العلماء على مر القرون متأثرون بعصرهم ونحن معصومون عن التأثر بعصرنا؟ رغم أن عصرنا من أكثر الأعصار تداخلاً ومن أكثر الأعصار التي يفرض فيها على الإنسان قوالب معينة. طيب من الممكن أن يأتي فيما بعد أناس ويقولون عنا أننا عشنا في عصر أثرت فيه الفلسفات النسوية فبالغنا بإعطاء حقوق للنساء!

قصة التأثر بالعصر هذه راجعة إلى فلسفة حداثية، تعرفون أن الغرب آمنوا بالداروينية كأساس لتفسير كل شيء، وقالوا أن الذهن البشري مادي وينطبق عليه قانون التطور، فكما أن الدنيا تطورت فكذلك أفكارنا تتطور، وكلما سرنا كلما كنا أفضل وأكثر تطورًا؛ ولهذا لا توجد حقيقة ثابتة عندهم فما كان حقًا قبل ألف سنة يمكن أن يكون باطلاً اليوم. وهذه هي الأداة ما بعد الحداثية المبينة على الكفر بالدين أصلاً والإيمان باللغة الداروينية والتي نشأ عنها ما أسميه بـ "تاريخينية النص"، وهي أنهم يقولون أن النص هذا شيء تاريخي. أهل الإسلام وعموم العقلاء يؤمنون أن هناك حق ثابت، هذا الحق لا يزيده مرور الزمان إلا ثبوتًا وهذا ما لا يؤمن به أصحاب تاريخينية النص؛ لهذا الآن تجد الناس يقولون لك نحن لا نرتهن لعقل الشافعي، لا نرتهن لعقل أحمد، لا نرتهن لعقل البخاري، لا نرتهن لعقول الفقهاء، طيب لا مرتهن لعقول الفقهاء ونرتهن لعقلك أنت؟! وعندما تقول له أن هذا الواقع الحالي الذي تدافع عنه الآن بني على أنقاض واقع قبله، ونحن الآن نريد أن ننقد هذا الواقع حتى نهدمه كما هدم هو غيره ونضع واقعًا آخرًا مكانه، ما المشكلة؟

لِمَ تطالبني بالاستسلام لهذا الواقع وقبوله بحجة الواقعية؟ ولو دامت لغيرك ما وصلت إليك..

ويقول لك العلماء غير معصومين، نعم غير معصومين لكن إجماعهم معصوم! يعني لما يكون هناك عالم له قول وعالم آخر له قول وأنا أخذت بقول أحدهما [بناءً على الأدلة] فتأتي أنت وتقول لي خالفت فلان العالم سأقول لك هذا العالم غير معصوم خالفه من هو خير منه أو مثله، أما أن يكون كل العلماء على قول واحد وتأتي أنت وتخالفهم وتقول لي هم غير معصومين هذا هذيان!

هم غير معصومين لكن إجماعهم معصوم.

حتى لا يكفر الناس (زعموا)..

بعض النسوة إن وجدن ما لا يعجبهن في دين الله يهددن بترك الدين والكفر -ودين الله في غنى عنهن-فيأتي بعض الدعاة بحسن نية ويبحثون لهن عن الرخص وأقوال الفقهاء التي توافق النظرة الحقوقية التي عندهن، لكنهم هنا يقعون في فخ؛

وهو تعزيز هذه النظرة الاستحقاقية، وأن كثيرًا مما تراه النسوية الإسلامية حقًا واجبًا لها أنت غاية ما يمكنك إثباته أنه مباح..!

وهذه هي الإشكالية التي وقعت لقاسم أمين لما كتب كتاب "تحرير المرأة في عصر الرسالة" وهذا كان من أوائل الكتب النسوية الإسلامية، فأنت لما تأتي وتسمي كشفها لوجهها "تحررًا" هي ستفهم أن هذا الأفضل ثم بعد ذلك ماذا سيحصل؟ سترى أنها أيضًا كلما كان تخففها من الحجاب أكثر كانت أكثر تحررًا وأفضل؛ لهذا زوجته لما أجروا معها لقاء في مجلة الرسالة كانت غاضبة من أحوال النساء في زمانها وقالت ما كان قاسم يريد هذا وما كان يفكر بهذه الطريقة!. وبنفس الطريقة بعد أن كان خروج المرأة من بيتها شيئًا مباحًا [للضرورة] أصبح الآن هو الأصل في النساء ويرينه حقًا أساسيًا لهن والأفضل أن تخرج من بيتها وتعمل في ترس الرأسمالية.

الأصل هو قرار المرأة في بيتها وأن ينفق عليها ذووها،
وبعض الفتيات تنظر للمرأة القارّة في بيتها على أنها عالة،

ثم تقول "لها خديجة كانت تاجرة" ، خديجة رضي الله عنها كانت تاجرة مُخدَّرة، كانت ذات مال تدفع لرجال المال وهم يعملون ويتاجرون لها، ولكنها لا تخرج من بيتها وتذهب وتجيء!، ثم هل خديجة رضي الله عنها كانت تقول لمن لا يملكن المال مثلها ولا يتاجرن "أنتن عالة على المجتمع وأنا متحررة وهذا أفضل.." ؟! ألا ترون أننا أصبحنا نجعل فتياتنا وبناتنا المتدينات يشعرن بالغيرة من النساء الحداثيات ويحاولن محاكاتهن بصورة إسلامية؟!، والله المستعان..

في النهاية أنبه على نقطة مهمة : كثير مما أذكره قد يثير الغضب أو يسبب حالة من الاحتقان تجاه المجتمع أو تجاه النفس أو تجاه المتكلم نفسه، أرجوكم لن نستطيع أن نصل إلى حلول مع حالة من الاحتقان، بالعكس أنا جدًا متفائل؛ لأنه مثل ما اجتازت الأمة كثير من الإشكاليات الكبيرة جدًا تاريخيًا فنحن نستطيع بعون الله أن نتجاوز شيئًا كبيرًا جدًا. عندنا حلول والأمر مدد إلهي ((ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم)) كما قال النبي ﷺ ، والله المستعان وعليه التكلان.